بعض مشاكل كتابة تاريخ الأمة العربية

د. طريف الخالدي

١ ــ يبدو لي في البدء ان درس كتابة تاريخ الامة العربية يجب أن يواكبه درس التاريخ العربي . فقد درس الباحثون شتى نواحي الثقافة العربية الاسلامية من فقه وكلام وعلوم طبيعية ، لكن تاريخ التاريخ عند العرب لا يزال بالمقارنة ، مجهولا . هناك بالطبع كتاب الدكتور الدوري ، وهو كتاب جليل لكنه لا يتعرض الا لحقبة معينة من هذا التاريخ ، أي الى نشأة علم التاريخ. اما كتاب المستشرق روزنتال ، فهو على أهميته من الناحية الوثائقية لا ينطوي على تحليلات دقيقة وانما على أحكام عامة وسطحية في الغالب . وهناك بالطبع دراسات عن مؤرخين معينين كالدراسات المستفيضة عن ابن خلدون ، لكن هذه الدراسات تهمل مدارس التاريخ التي سبقت ابن خلدون ، ناهيك عن المدارس التي تلته . ولا جدال ان البحوث التاريخية في بلادنا العربية يجب أن يواكبها اهتمام عميق بالتأريخ ، قديمه وحديثه . وحبذا لو اتخذ مؤتمرنا الكريم توصية بهذا المعنى ، أي بلفت النظر الى ضرورة دراسة علم التأريخ عند العرب ، وهذه الدراسة قد تبدأ مثلا بتوجيه بحوث تلاميذنا على المستوى العالي ، ولا تنشط الدراسات التاريخية في رأيي في بلد ما الا اذا كانت هذه الدراسات تتفاعل باستمرار مع الفكر التاريخي ، أي مع التأريخ .

٢ ــ هناك بالطبع نقص شديد في التاريخ العربي من الناحية الاقتصادية والاجتماعية . وهذا أمر قد لفت الانتباه اليه الكثيرون من المؤرخين . وفي هذا المجال ، فان الجامعات العربية قد تسهل الوصول الى مثل هذه الابحاث اذا عمدت بشكل عام الى توسيع رقعة التخصص عند الطالب الذي يحصل على الدرجة الجامعية الاولى في التاريخ ، فتسمح له أن يتخصص بمادتين لا مادة واحدة ، كأن يتخصص مثلا بالتاريخ والاقتصاد أو بالتاريخ والعلوم الاجتماعية ، فيجمع بين المنهجين ويتسنى له حينئذ طرح الاسئلة الملائمة وايجاد التفاسير لها .

٣ ــ منذ أواسط القرن التاسع عشر ، بدأ العرب بدراسة التاريخ العربي بشكل أكاديمي منظم . ونحن لا نزال نستشهد ببعض هذه الدراسات والتي لا ريب ان بعضها ذو فائدة كبيرة . لكننا لم نلتفت بعد الى دراسة تاريخ الاستشراق بشكل مكثف لكي نميز الصالح من الطالح . فالاستشراق كثيرا ما يشوه تاريخنا العربي، ويتسرب هذا التشويه ، ظاهرا أو باطنا ، الى مؤلفاتنا نحن العرب . ويخلق مدرسة من التفاسير التاريخية التي يصعب علينا فيما بعد الافلات من طوقها . ودراسة الاستشراق بشكل عميق تستحق مؤتمرا خاصا بها ، يدعو اليه مؤتمر المؤرخين العرب ويجري اعداده لكي يشمل أكبر عدد من مؤرخي البلاد العربية ، لكي تتم فيه المقابلة بين الاستشراق الفرنسي حول الجزائر مثلا والاستشراق الايطالي حول ليبيا والاستشراق الصهيوني حول فلسطين ، والى ما هنالك . وقد نعمد بعدئذ الى اقرار مادة تاريخ الاستشراق في عداد المواد الجامعية لدى دوائر التاريخ في الجامعات العربية .

٤ ــ هناك مشكلة دراسة التاريخ الشعبي العربي. فنحن لا نزال نرى التاريخ من وجهة نظر النخبة ، ولا نراه من وجهة نظر الشعب أو الحركات الشعبية . والتاريخ الشعبي العربي لا يزال بحاجة ماسة الى دراسة مستفيضة دقيقة . هناك طبعا دراسات عديدة عن ثورة الزنج مثلا وعن ثورة القرامطة ، لكننا نكاد لا نعرف شيئا عن الحركات الشعبية في المدن العربية في صدر الاسلام سوى القليل الذي درسه ، مع الاسف، المستشرقون الالمانيون والفرنسيون . ولا جدال ان مثل هذا الامر يتطلب انشاء معهد أو معاهد لا تخضع للروتين الاكاديمي أو الحكومي . لها ميزانياتها المستقلة ولجانها التي تشرف على أعمالها وهياكلها التي تتألف من أكبر عدد ممكن من الباحثين الاختصاصيين وأقل عدد ممكن من الموظفين الاداريين .

٥ ــ هناك نقص فادح في علم الآثار العربي الاسلامي . وهو علم لا غنى عنه في التاريخ العربي. فنحن لا نزال مع الاسف نعرف عن المدينة اليونانية أو الرومانية التي لا تزال آثارها قائمة في أرضنا العربية أكثر مما نعرف عن مدننا في عصور ازدهارها العربية . وهذا أمر

تاريخ ملتزم بالجماهير العربية

د. اسامة الدور

١ ـ الجانب المنهجي

ان الاساس بالنسبة لمؤتمرنا هذا ينحصر في امكانيه دراسة تاريخ الامه العربيه دراسة موضوعية . ولانجاز مثل هذه المهمة لا بد لنا من الاعتماد على وقائع الماضي والحاضر التي وجدت فيها عملية التطور الموضوعية انعكاسا لها . ان تجميع الوقائع وتصنيفها ومعالجتها من ارتباط بعضها بالاخر يشكل الاساس الداخلي لتنفيد المهمة التي نحن بصددها . ولا شك في اننا بحاجة لبذل مجهودات مضنية لتنفيذ عملية التجميع المركز للوقائع وتصنيفها ودراستها (الوثائق . المخطوطات ، المواد الاركيولوجية . المواد الاثنوغرافية) . هذا مع ملاحظة ان من الضروري أن يؤخذ . ليس مجرد وقائع تاريخية متفرقة . وانما مجمل الوقائع التاريخية المتعلقة بتاريخ أمتنا العربية دون أي استثناء . فالتجميع بقدر الامكان لمجمل الوقائع عن أحداث تاريخنا المختلفة وعن الظواهر والتفاعلات والعمليات التاريخية ، التجميع الدائم الدؤوب لذلك النوع من الوقائع وتصنيفها ودراستها في مدى ترابطها وتداخلها ، يشكل شرطا ضروريا وأساسيا لكتابة تاريخنا العربي ولتطور البحث العلمي في هذا المجال . ولكن لا يمكن أن نكتفي بوصف الاحداث وسردها دون بذل محاولة لتفهم تلك الاحداث وتفسيرها . لذلك لا بد لنا من الانتقال ، على أساس مجمل الوقائع ، لتفهم وتفسير بعض الظواهر والعمليات من حياة مجتمعنا العربي وللكشف عن القوانين التي تحكم تطوره ولاستنباط خصائص التطور التاريخي . مثل تلك الاستنتاجات علينا ان نصوغها في شكل تعميمات نظرية . ولكي يصبح بمقدورنا استرجاع الصورة الموضوعية لعملية تطور المجتمع العربي . لا بد وان نحدد العناصر التي تشترك في عملية التطور التاريخي تلك والدور الذي يلعبه كل عنصر من تلك العناصر . كما لا بد لنا من الدراسة التفصيلية لتركيب الموضوع واشكال تبدله في المراحل المختلفة من العملية التاريخية . واخيرا لكي يصبح باستطاعتنا وضع تصور للتطور التاريخي بالتحديد كعملية وليس فقط مجرد سلسلة متتابعة كرونولوجيا من حالات الموضوع ، لا بد وان نكشف عن قوانين الانتقال من حالة تاريخية لاخرى . أن التعميمات التاريخية . وادراك مجمل الوقائع المجمعة والمصنفة والمدروسة في مدى ارتباط وتداخل احداها بالاخرى ومن ثم التوصل للاستنتاجات الفردية . كل ذلك يشكل الجانب الآخر لابحاثنا المتعلقة بتاريخ أمتنا العربية . ان التاريخ يحتوي في داخله على النظرية والتي بدون تواجدها لا يمكن لنا التحدث عن امكانية كتابة التاريخ الموضوعي لامتنا العربية .

يجب أن نلفت اليه اهتمام طلابنا ونتخذ بشأنه توصية ملائمة في مؤتمرنا هذا .

٦ ـ وأخيرا ، وفيما يتعلق بمجلة « المؤرخ العربي » التي تصدرها الامانة العامة للاتحاد ، فاني أقترح أن تنتهج منهجا جديدا وأن تخصص صفحاتها لنقد الكتب التاريخية . واذا فعلت ذلك ، فانها قد تصبح أنجح وسيلة لرفع مستوى الكتابة التاريخية ولتفاعل الآراء بين المؤرخين العرب في شتى أنحاء الوطن العربي . فبدون مثل هذا التفاعل الخلاق المستمر عبر النقد المسؤول العلمي الدقيق لن يتسنى للمؤرخين العرب الوسيلة النافعة للنهوض بمستوى كتابة التاريخ على مستوى الامة العربية جمعاء .

٧ ـ انعزال كتابة التاريخ العربي عن تاريخ الشعوب الاخرى ، مع العلم ان الحضارة العربية الاسلامية هي التي أبدعت علم الحضارات المقارن . فنحن لا نكاد نجد في جامعاتنا خبيرا واحدا في تاريخ الهند والصين وايران مثلا . لذا يجب ان يسد النقص في تاريخ الشعوب التي ارتبطت وترتبط بنا تاريخيا .

طريف الخالدي

دائرة التاريخ بالجامعة الاميركية ـ بيروت